دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 43، ملحق 4، 2016

قيم ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية

محمود احمد يعقوب رشيد *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إحياء قيم ترشيد الاستهلاك التي جاءت بشكل صريح في السنة النبوية، وذلك من خلال تعريف قيم الاستهلاك الإيجابي، وبيان مظاهر الاستهلاك السلبي، ثم وضع معيار لتلك القيم يقيس مدى انضباط سلوك المستهلك بها، والتأكيد على ضرورة تطوير وسائل وأساليب تعين المستهلك على التزام ترشيد الاستهلاك، كما وتبين إيجابيات التزام الفرد بتلك القيم، وسلبيات مخالفتها بما يسهم في الحد من مظاهر الاستهلاك الإسرافي، والترفي، والتبذيري، الذي عززته الرأسمالية في سلوك المستهلك، والتقليل من المفاسد الاقتصادية، والأخلاقية، والاجتماعية، والبيئية، وغيرها.

الكلمات الدالة: ترشيد الاستهلاك، الهدي النبوي، القيم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن ترشيد الاستهلاك من المفاهيم الإيجابية التي تسعى الدول إلى تعزيزها في سلوك أفراد المجتمع ومؤسساته، وقد نبهت السنة النبوية على هذه القيمة بألفاظ صريحة تبين أهميتها في تحقيق التوازن الاقتصادي، والاجتماعي، والأخلاقي، والنفسي في المجتمع الإسلامي وغيره، والناظر في أنماط استهلاك المسلمين للسلع في زماننا يلاحظ ازدياد أنماط الاستهلاك الإسرافي، والتبذيري، والترفي الذي حوّل المسلمين إلى أمة مستهلكة، وعالة على الأمم في ضروريات الحياة: غذائها، ولباسها، ودوائها، وفي الحاجيات والكماليات، وأدى ذلك إلى سقوطها تحت الاستعمار السياسي، والعسكري، والاقتصادي، فلا بد للأمة في هذا الزمان من الاهتمام بجانبين مهمين في موضوع الاستهلاك:

الأول: الإنتاج: إنتاج ما تستهلكه لتحقيق الاكتفاء الذاتي.

الثاني: ترشيد الاستهلاك الذي يقلص الفجوة بين الاستهلاك الإسرافي، والحاجة الفعلية لكمية الاستهلاك الحقيقية، وأقرب مثال على ذلك: أن ترشيد العالم العربي لاستهلاك الخبز يقلل حجم وارداته من القمح إلى النصف تقريباً، فقد أشار تقرير منظمة(الفاو) إلى:" أن إقليم الشرق الأدنى وشمال أفريقيا يستورد(36) مليون طن من القمح سنوياً يهدر منه (16) مليون طن، وهي كمية تكفي لإطعام (70–100) مليون نسمة" (http://www.aljazeera.net /news/ ebusiness /2014/3/1)

فترشيد الاستهلاك أحد الأبعاد التي يجب الاهتمام بها للحد من العجز في عدة مجالات اقتصادية مهمة، منها: الغذاء، والطاقة، والمياه، والدواء، وبذلك نسهم في الحفاظ على دين الأمة، وأخلاقها، وأمنها، وعزتها، ونمنع أسباب التفاوت الطبقي الذي يؤدي إلى تفشي الجريمة، والعنف، والحقد، والكراهية، ونحقق العدالة الاجتماعية.

إن من أهم خصائص قيم ترشيد الاستهلاك في السنة أنها تكاليف شرعية وسطية ضمن قدرة الإنسان المكلف يثاب على فعلها، وقد يأثم على ترك بعضها، وبرهن نبينا الكريمﷺ وسلفنا الصالح من الصحابة والتابعين على القدرة على التزامها، وهي قيم إنسانية تحقق النفع لكل المجتمعات الإنسانية إذ تنسجم مع مقتضيات العقول السليمة، ومع سياسات دول العالم في تعزيز قيم ترشيد الاستهلاك في منظومتها التربوية، والإعلامية، والاقتصادية، وغيرها.

أهداف الدراسة

يتوقع من الدراسة أن تحقق الأهداف الآتية:

1- إحصاء قيم الاستهلاك المحورية الإيجابية الصريحة الواردة في السنة النبوية.

2- التعريف بكل قيمة تعريفاً دقيقاً يميزها عن غيرها من القيم التي يظن أنها ترادفها.

3- التحذير من مخاطر الإسراف الاستهلاكي، والذي يؤدي إلى مفاسد اقتصادية، واجتماعية، وأخلاقية، وبيئية.

* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، تاريخ استلام البحث 2015/8/25، وتاريخ قبوله 2015/10/18.

© 2016 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

4- إحياء قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة النبوية في حياة المسلمين، وتفعيلها للحد من الاستهلاك الإسرافي، والتبذيري، والترفي في العالم العربي والإسلامي.

- إشكالية الدراسة: يتوقع من الدراسة بناء على ما سبق أن تجيب على ما يأتي:

1- ما أبرز قيم ترشيد الاستهلاك الإيجابية الصريحة الواردة في السنة النبوية؟

2- ما أبرز مظاهر الاستهلاك السلبي الذي حذرت منها السنة النبوية؟

2- كيف يمكن تفعيل قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة النبوية في حياتنا؟

4- ما مخاطر عدم ترشيد الاستهلاك على المجتمع؟

الدراسات السابقة

اطلعت على عدة كتابات عن ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية والإسلام، من أهمها:

1- بحث علمي موسوم بـ: (ترشيد استهلاك الطعام في ضوء السنة النبوية) للباحثين: د. أحمد المناعي، د. محمد الشريفين، عالج فيه الباحثان ترشيد استهلاك الطعام من خلال ثلاثة محاور: باعتبار قيمة المطعوم، واجتماع الطاعمين، ووقت تناول الطعام ونوعه، وهو بحث قيم ونافع، ولكنه لم يتطرق إلى منظومة قيم ترشيد الاستهلاك. (المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد:9، العدد: 3/أ، 2013)

2- كتاب: (ترشيد الاستهلاك في الإسلام) د. كامل صكر القيسي، وفيه ثلاثة مباحث: الأول: علاقة الاستهلاك بالاستخلاف، والثاني: ضوابط الاستهلاك، والثالث: سمات المجتمع المسلم، والرابع: الاستهلاك الرشيد والبركة، وهو كتاب شمولي ونافع غطى الباحث مباحث الكتاب بشكل جيد، وقد صدر هذا الكتاب عن: (إدارة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري- دبي، ط1، 2008).

ولم أجد بحسب إطلاعي أبحاثاً تعالج ترشيد الاستهلاك من الناحية القيمية، ولذا أرجو من الله أن تقدم الدراسة شيئاً جديداً في مجال ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية.

منهج الدراسة

سأعتمد في إجراء هذه الدراسة على المناهج الآتية:

- المنهج التوثيقي: بجمع الأحاديث التي تحوي قيماً صريحةً في ترشيد الاستهلاك من مصادر السنة النبوية، وتوثيقها، وبيان أقوال العلماء في وجه دلالتها على الأحكام الشرعية.

- الوصفي: باستقراء الأحاديث التي تخدم موضوع الدراسة في مصادر السنة النبوية، وترتيبها ترتيباً منهجياً بما يخدم أغراض الدراسة.

- المنهج التحليلي: بتحلل قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في الأحاديث النبوية، وتعريفها تعريفاً علمياً دقيقاً، وربطها بسلوك المستهلك، واستنباط الآثار الإيجابية لالتزامها، وسلبيات التخلي عنها، وربطها بالواقع الاستهلاكي للمسلمين.

- **خطة الدراسة:** لتحقيق أهداف الدراسة، تم تقسيمها إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف مفاهيم الدراسة لغة، واصطلاحاً:

المطلب الأول: القيمة لغةً، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الترشيد لغةً، واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الاستهلاك لغةً، واصطلاحاً.

المبحث الثاني: قيم الاستهلاك في السنة النبوية:

المطلب الأول: القيم الإيجابية لترشيد الاستهلاك.

المطلب الثاني: مظاهر الاستهلاك السلبي.

المبحث الثالث: تفعيل قيم ترشيد الاستهلاك الإيجابية الواردة في السنة النبوية:

المطلب الأول: تحديد القيم، والتعريف بها كقيم معيارية يمكن قياسها سلوك المستهلك بها. **المطلب الثاني:** تعزيز سلوك المكلف للالتزام بقيم ترشيد الاستهلاك بطريقتين:

الطريقة الأولى: بيان إيجابيات قيم ترشيد الاستهلاك.

الطريقة الثانية: بيان سلبيات زيادة الاستهلاك.

النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف مفاهيم الدراسة لغة واصطلاحاً:

كثر استخدام مفهوم (القيم) في الدراسات الشرعية، والنفسية والتربوية المعاصرة، وأصبح الحديث عن تعليم القيم وتعلمها وتعزيزها في المجتمع حديث الباحثين والمثقفين ووسائل الإعلام، ولا بد قبل إجراء الدراسة من تعريف المفاهيم الرئيسة الواردة في خطة الدراسة، وهذه المفاهيم هي كالآتي:

المطلب الأول: تعريف القيمة لغة، واصطلاحاً، والقيمة الاقتصادية:

أولاً: تعريف القيمة لغة: القيمة مأخوذة من الفعل (قَوَمَ) والذي يدل في أصل استعماله على:" انْتِصَابٍ أَوْ عَزْمٍ" (ابن فارس، ج5، ص 43) وقد استخدم الفعل ومشتقاته في الأمور المادية: كتقويم السهام والرماح، وقيام الرجل من مجلسه، ثم استخدم في المجاز كقولهم:" أَقمتُ الشَّيْءَ، وقَوَّمْتُه، فَقَامَ بِمَعْنَى: اسْتَقَامَ، والاسْتِقَامَةُ: اعتِدالُ الشّيءِ واسْتِواؤُهُ"(الزبيدي،

ج33، ص 308) واستخدم الفعل ذاته في تثمين الأشياء، فقولهم: قيمة الشيء كذا تدل على:" ثمن الشيء" (الفراهيدي، ج5، ج 233) وقد استعمل القرآن هذا الفعل(قَوَمَ)، واشتقاقاته للدلالة على معنى الاستقامة والاعتدال منها ما جاء في:

1- وصف الإسلام: في قوله تعالى:{ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} (الأنعام: 161) {ديناً قِيَماً} أي:" مستقيما" (الأخفش، 1990، ج1، ص318) وفي قوله تعالى:{ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة يوسف:40) (الدين القيم) فسرت بـ" ذلك الدين المستقيم" .(الماوردي، ج3، ص 38)

2- وصف القرآن: في قوله تعالى:{ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ} (الكهف:2) (قَيِّمًا) فسرت بـ:" أنه المستقيم المعتدل". (الماوردي، ج 3، ص 284)

3- وصف قضاء الله: في قوله تعالى:{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} (براءة:36) (الدين القيم) فسرت بـ:" القضاء الحق المستقيم" (الماوردي، ج 2، ص 360) {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (الروم :36) قال ابن عباس:"ذلك القضاء المستقيم". (الماوردي، ج4، ص 312)

ثانياً: تعريف القيمة اصطلاحاً: عُرّفت القيم اصطلاحاً بعدة تعريفات، من أهمها:

1- تعريفها باعتبارها فضيلة مرغوبة، فقيل القيمة هي:" الفضائل الدِّينيّة، والخُلقيّة، والاجتماعيّة التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنسانيّ" (عمر، 2008، ج3، ص 1878)

2- وأما في الدراسات العلمية الشرعية أو التربوية فيظهر في تعريف القيمة التنبيه على وضع معيار محدد للقيمة، ومقياس يمكن أن يحكم به على درجة التزام الفرد بها، فعرّفت القيمة بأنها:" مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به، ونحدد على أساسه المرغوب فيه، والمرغوب عنه". (ابن حميد، ج1، ص 78)

3- واشمل تعريفات القيمة، هو أن القيمة:" مجموعة من: المعتقدات، والتصورات المعرفية، والوجدانية، والسلوكية الراسخة يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل، ويعتقد بها اعتقاداً جازماً، وتشكل لديه مجموعة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو القبح، وبالقبول أو الرد، ويصدر عنها سلوك منظم يتميز بالثبات، والتكرار، والاعتزاز"(الجلاد، 2007، ص33) وهذا التعريف واسع، وطويل فصَّل فيه ذكر أنواع المعارف: العقدية، والسلوكية، والوجدانية، وفصَّل فيه أنواع السلوك كـ: الاختيار والتمييز، والاعتقاد، والقبول، والاعتزاز، ومن سمات تعريف المفاهيم: أن يكون التعريف جامعاً مانعاً ومختصراً، لذا يمكن أن أصوغ تعريفاً للقيمة مما سبق، فأقول القيمة:" تصورات معرفية علمية معيارية تؤثر في سلوك الإنسان، ويمكن قياسها".

ونلاحظ مما سبق أن القيم تشتمل على عدة مرتكزات من أبرزها:

1- أن القيم تشتمل على معتقدات ومشاعر وسلوكيات مصدرها إما رباني أو بشري.

2- أن القيم تحوي معياراً- مقياساً- به نحكم على الأشياء قبولاً أو رداً، حسناً أو قبحاً، وبذلك يحكم على القيمة بأنها سلبية أو إيجابية، وبناء على اختلاف مصادر القيم تختلف المجتمعات في قبول سلوك معين أو رفضه.

3- أن القيم تظهر سلوكاً واعياً في حياة الفرد والمجتمع، وتظهر آثارها في مختلف مناحي الحياة: السياسية، والأخلاقية، والاقتصادية وغيرها.

4- أن القيم تمثل بالنسبة للمسلم تكاليف شرعية تشتمل على الأحكام الشرعية الخمس، والتي تربطه بالغاية التي خلق من أجلها والمصير الذي سيفضي إليه.

ثالثاً: القيم الاقتصادية: أما الاستهلاك فمن القيم الاقتصادية، والقيم الاقتصادية:" تتضمن الاهتمام بالمنفعة الاقتصادية المادية، والسعي إلى المال والثروة، وزيادتها عن طريق الإنتاج، واستثمار المال..." (الجلاد، 2007، ص48) والقيم الاقتصادية كمفاهيم مجردة من المعيار والمقياس هي قيم إنسانية، فكل إنسان يسعى إلى تحقيق ضروريات حياته، ثم ينتقل إلى الحاجيات ثم الكماليات، ولكن من حيث القبول والرد، فكل مجتمع يضع من الضوابط والمحددات لقيمه بحسب دينه أو فلسفته الوضعية، ويسعى إلى تحويل القيم من مفاهيم مجردة إلى سلوك في حياة الناس، والإسلام يحدد تعريفاً للقيمة، ويضع السلوك المناسب لها، ويربط بين القيمة ومعاش الإنسان، ومآله، ويبني عليها ثواباً دنيوياً وأخروياً باعتبارها تكاليف شرعية تأخذ أحد أحكام الشارع الخمسة، ويضرب أمثلة يبرهن فيها على أثر التزامها في الدنيا في قصص من مضى من الأمم، ليدلل على قدرة المسلم على تمثلها في حياته من خلال سبيلين: أن الله لا يكلف إلا ما يطيقه المكلف، وأن النبيﷺ تمثلها في حياته وصحابته رضوان الله عليهم، وأن نجاحها مضمون لسلامة الجنس البشري، وأن مخالفتها مفسدة.

المطلب الثاني: تعريف الترشيد، والاستهلاك لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الترشيد لغة، واصطلاحاً:

1- الترشيد لغة: من الفعل الثلاثي(رَشَدَ) والذي يدل في أصل استعماله على: "اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقِ "(ابن فارس، 1979، ج2، ص 398) ثم استخدم في معنى:" اقتصد في الشيء، ولم يُسْرِف فيه".(عمر، 2008، ج2، ص 894)

2- الترشيد اصطلاحاً: وأما كلمة الترشيد فأول ما استخدمت كمصطلح في مجال (القضاء) وذلك بالحكم على شخص بأنه راشد، قال:" (الترشيد) حكم القَاضِي ببلوغ الشَّاب الرشد" (ابراهيم مصطفى وآخرون، ج1، ص 346) والشخص الراشد في تعريف الفقهاء:" أَن يبلغ الصَّبِي حد التَّكْلِيف صَالحاً فِي دينه مصلحاً لمَاله" (ابراهيم مصطفى وآخرون، ج1، ص 346) و فِي القانون الوضعي:" السن الَّتِي إِذا بلغَهَا الْمَرْء اسْتَقَل بتصرفاته"(إبراهيم مصطفى وآخرون، ج1، ص 346) وقيل الراشد:" الْمُسْتَقيم على طَرِيق الْحق مَعَ تصلب فِيهِ" (ابراهيم مصطفى وآخرون، ج1، ص 346) فمما سبق يمكن القول أن كلمة (ترشيد) تدل على: بلوغ الإنسان سن النضج بحيث يحسن التصرف في سلوكه الديني والدنيوي، ضمن مقياس شرعي يعتمده القضاء.

ثانياً: تعريف الاستهلاك لغة، واصطلاحاً:

1- الاستهلاك لغة: استخدم الفعل هلك في اللغة في الدلالة على تلف الأشياء المادية، قال ابن فارس"(هَلَكَ): يَدُلُّ عَلَى كَسْرٍ وَسُقُوطٍ" (ابن فارس، 1979، ج6، ص 62) ومن الأشياء المستهلكة الجهد والمال والطعام واللباس وغيرها، و(اسْتَهْلك) فِي كَذَا:" جهد نَفسه فِيهِ وَالْمَال وَنَحْوه أنفقهُ أَو أهلكه، وَيُقَال: اسْتَهْلك مَا عِنْده من طَعَام أَو مَتَاع" (ابراهيم مصطفى وآخرون، ج2، ص 991) واستهلك الشيء:" أي أهلكه (وَهَلَكَ عَلَى يَدِهِ) إِذَا اسْتَهْلَكَه". (الخوارزمي، ص: 505)

2- الاستهلاك اصطلاحاً: يُعرف الاستهلاك اصطلاحاً بأنه:" استخدام سلعة أو خدمة في تحقيق منفعة بصورة مباشرة بدون استعمالها في إنتاج سلعة أو خدمة أخرى". (عمر، 2008، ج **3**، **ص 2359**)

ثالثاً: مفهوم ترشيد الاستهلاك اصطلاحاً: استخدم الفعل (رشد) في المعاجم الحديث مضافاً إلى الاستهلاك، فيقال: ترشيد الاستهلاك بمعنى:" توعية الجمهور بالاقتصاد في الإنفاق أو الاستهلاك" (عمر، 2008، ج2، ص 895) وتتخذ الحكومات (سياسة ترشيدية) بمعنى:" سياسة تقوم على توعية الجمهور بعدم الإسراف، والاقتصاد في الإنفاق أو الاستهلاك، وتوجيه المدفوعات في مصارفها الضروريّة". (عمر، 2008، ج2، ص 895)

ومما سبق يمكن التوصل إلى تعريف قيم ترشيد الاستهلاك بأنها: مجموعة من المفاهيم العقدية، والأخلاقية، والسلوكية التي تجعل سلوك المستهلك واعياً ومنضبطاً بها.

المبحث الثاني: قيم الاستهلاك الواردة في السنة النبوية:

المطلب الأول: قيم ترشيد الاستهلاك الإيجابية في السنة النبوية: السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد اشتملت على القيم النظرية الصريحة في مختلف مجالات الحياة: السياسية، والاجتماعية، والخلقية وغيرها، واشتملت كذلك على الجانب التطبيقي الواضح لتلك القيم في السنة الفعلية والتقريرية، ومن تلك القيم (قيم ترشيد الاستهلاك) بشطريها الإيجابي قولاً وفعلاً، ومظاهر الاستهلاك السلبي تحذيراً وتنفيراً ونهياً، ومن أبرز تلك القيم الإيجابية:

القيمة الأولى: الاقتصاد: تعد قيمة الاقتصاد قيمة محورية في قيم ترشيد الاستهلاك، وتدل على الاعتدال في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، واستعملت هذه الكلمة في لغة العرب للدلالة على التوسط في الشيء، فقالوا:" القَصْدُ فِي الشيْءِ ضِدُّ الإِفْراطِ، وَهُوَ مَا بَين الإِسرافِ والتَّقْتِير" (الزبيدي، ج9، ص 36) واستعملت في الاقتصاد في المعيشة، والذي يعني:" أَن لَا يُسْرِف وَلَا يُقَتِّرَ" (ابن منظور، 1414، ج3، ص 354) والقصد في الأمر أي :" لم يَتجاوَزْ فِيهِ الحَدَّ، وَرَضِيَ بالتَّوَسُّطِ، لأَنه فِي ذَلِك يَقْصِدُ الأَسَدَّ"(الزبيدي، ج9، ص 36) فالاعتدال والتوسط وطلب الصواب والسداد هي دلالات الفعل (قصد) فالاقتصاد في الاستهلاك: التوسط والاعتدال في إنفاق المال في امتلاك السلع للانتفاع بها.

وقد جاء في السنة النبوية الترغيب في هذه القيمة، وحث المسلم على التزامها في حياته كلها، وقد بيّن النبيﷺ أن الاقتصاد مقصد تشريعي أساسي يشتمل على أمور الدنيا والدين، أما في أمور الدنيا، فيدل عليه قول النبيﷺ:" أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ" (ابن ماجة، ج2، ص725، برقم:2142) [1] والإجمال في الطلب فيه اعتدال بلا إفراط ولا تفريط بـ:" السَّعْي بِلَا كدّ وتكالب". (الصنعاني، 2011، ج1، ص 37)

وأما في أمور الآخرة فبما يتعلق في العبادات والقربات خاصة، فقد قال النبيﷺ:" سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا" (البخاري، 1422، ج8، ص98 رقم: 6463) والقصد: الاعتدال بلا إفراط ولا تفريط، ولأجل تعزيز قيمة الاقتصاد في سلوك المسلم، والتي تعد أهم قيمة من قيم ترشيد الاستهلاك جاء التنبيه عليها في السنة النبوية بصور مختلفة، من أهمها:

أولاً: نبهت السنة النبوية على أن الاقتصاد في الاستهلاك يشمل ضروريات الحياة جميعها: ومن أبرز تلك الضروريات التي لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها، ويلزمه الاقتصاد فيها:

1- الطعام: فالضروري من الطعام لا يستغني عنه إنسان، وأخذ الكفاية منه اقتصاد وترشيد، والزيادة فيه إسراف وتبذير،

ومفسدة للبدن، وتكسيل للمسلم عن طاعة الله، فقد قال رسول الله:" مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ" (ابن ماجة، ج2، ص111، برقم:3349)[2] ومن الاقتصاد في الطعام الرضا بما تيسر منه، فقد جاء في السنة أن النبيﷺ سأل أهله طعاماً، فقالوا: ما عندنا إلا خَلٌّ، فأكل منه، وجعل يقول:" نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ، نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ" (مسلم، ج3، ص1622، رقم:2052) قال ابن الجوزي:" معنى هَذَا الْكَلَام مدحُ الاقتصاد فِي المآكِل، وَمنع النَّفس عنْ ملاذ الْأَطْعِمَة" (الجوزي، ج3، ص 114)

ومن الاقتصاد في المأكل أن لا يعيب المسلم طعاماً مباحاً، فالناس متفاوتون في أذواقهم، وفي صناعة أطعمتهم، فقد جاء في هدي النبيﷺ:"مَا عَابَ النَّبِيُّﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ" (البخاري، 1422، ج4، ص 190، رقم:3563) وأكل خالد بن الوليد الضب على مائدة رسول الله، ولم يأكل النبيﷺ منه، فقال خالد: أحرام هو؟ فقال رسول الله:" لاَ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُه". (البخاري، 1422، ج4، ص 190، رقم:5391)

2- الماء: الماء عنصر ضروري لاستمرار حياة الكائنات على الأرض، ولا زالت الدول تحرص على توفير الماء النظيف للشرب، ولسائر الاستخدامات كالزراعة والصناعة وغيرهما، ولما كان الماء مادة ضرورية لحياة الإنسان ومعاشه كان لا بد من توجيه المسلم إلى الاقتصاد في استعماله، حتى لو كان استخدام الماء في العبادات كالوضوء والغسل وغيرها، فقد جاء في السنة الفعلية للنبي أنه كان:" يُغَسِّلُهُ الصَّاعُ مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَيُوَضِّئُهُ الْمُدُّ"(مسلم، ج1، ص 258، رقم:326) و(الصاع) كيل يسع أربعة أمداد والمد إناء مكعب طوله 9. 2 سم تقريباً(تعليق، د. البغا، مسلم، ج1، ص 258، رقم:326)، وقد لزم الصحابة هدي النبيﷺ في الاقتصاد في الماء، فقد قال أبو الدرداء:" اقْتَصِدْ فِي الْوُضُوءِ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى شَاطِئِ نَهَرٍ" (الهروي، 1994، ص:192) وسار التابعون على هذا النهج يعلمون الناس سنن النبيﷺ، فقد قال أحد التابعين:" لَوْ أَنَّ غَرْفَةَ وَاحِدَةً عَمَّتْ لَمْ أُبَالِ أَنْ لَا أَزِيدَ عَلَيْهَا". (الهروي، 1994، ص:194)

ثانياً: نبهت السنة على أن الاقتصاد في النفقة يحقق وفراً كثيراً: الاقتصاد يؤدي إلى تحقيق توافر النقد والسلع، ووفرتهما تسد العوز والحاجة في المجتمع، وتخفض الأسعار، وتمنع الاحتكار، فقد قال النبيﷺ:" الِاقْتِصَادُ في المعيشة نِصْفُ الْعَيْشِ" (القضاعي، 1986 ج1، ص 55، رقم:33)[3] فالإسراف زيادة في الاستهلاك بما يساوي ضعف ما يحتاجه المستهلك، وقد أشارت منظمة (الفاو) في دراسة لها عن الهدر الغذائي في العالم أن:" ثلث جميع المنتجات الغذائية المنتجة للاستهلاك البشري تهدر كل عام فيما يعادل (1.3) مليار طن، وتبلغ تكاليف هذا الهدر (750) مليار دولا أمريكي سنوياً الغذاء المنتج للاستهلاك البشري يفقد، أو يهدر على المستوى العالمي، ولو تم خفض مقدار الهدر والخسائر في المواد الغذائية إلى الصفر سيتوافر لدينا ما يلبي احتياجات مليارين من البشر".

(http://www.fao.org/news/story/ar/item/203191/icode)

ثالثاً: التأكيد على أن الاقتصاد في الإنفاق مهمة تشاركيه: بينت السنة النبوية أن ترشيد الاستهلاك مسؤولية يتحملها كل فرد في المجتمع، وعليه أن يسعى إلى تعميق قيمة الاقتصاد في مجتمعه حتى تتحول هذه القيمة إلى نمط حياة يتم توارثه كسلوك اجتماعي يبرز في التنشئة الاجتماعية، وقد نبهت السنة النبوية على مبدأ تحمل المسؤولية في عدة أحاديث من أهمها قول النبيﷺ:" الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...، وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (البخاري، 1422، ج3، ص120 رقم:2409) وللمرأة المسلمة الدور الأبرز في ترشيد الاستهلاك لأن التبذير يقع غالباً من الإناث أكثر مما يقع من الذكور، وقد مدح النبيﷺ نساء قريش ببعدهن عن الإسراف والتبذير، فقال:" خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ" (البخاري، 1422، ج7، ص 6، رقم:5082) ومعنى ذلك:" أي أحفظ وأرفق وأصون لماله بالأمانة فيه والصيانة له، وترك التبذير في الإنفاق". (المناوي، 1356، ج3، ص492)

القيمة الثانية: الكفاف: يسعي الإنسان في طلبه للرزق بداية إلى تحقيق ما يكفيه من ضروريات الحياة وحاجياتها دون السعي إلى التوسع في المعاش، ولذلك يُعرّف الكفاف اصطلاحاً بأنه:" مقدار ما يتبلغ به، فيكفيه عن السؤال والحاجة إلى الناس" (الأزهري، ص: 197) وقد عدّ النبيﷺ تحصيل الكفاف من أعظم نعم الله على العبد، فقال:" قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ" (مسلم، ج2، ص730، رقم: 1054) فالكفاف:" بِقدر الْكِفَايَة لَا يزِيد عَلَيْهَا فيطغيه وَلَا ينقص عَنْهَا فيؤذيه" (المناوي، 1988، ج1، ص 242) وقد سأل النبيﷺ ربه أن يرزقه، وآل بيته الكفاف، فقال:" اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كفافاً" (مسلم، ج4، ص2281، رقم:1055) والمقصود بالكفاف أن:" لا يكون فيهم فضول يصل إلى ترفه

وتبسط ليسلموا من آفات الغنى والفقر، والكفاف ما لا يفضل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة".(المناوي، 1356، ج2، ص100)

وترتبط قيمة الكفاف قلة أو كثرة بعدد من يعوله المرء، وما ألفه الناس من عادات مباحة في معيشتهم، ولذا فـ " حكم الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فمنهم من يعتاد الرياضة حتى إنه يأكل في كل أسبوع مرة فكفافه وقوته تلك المرة في كل أسبوع، ومنهم من يعتاد الأكل في كل يوم مرة أو مرتين، فكفافه ذلك لأنه إن تركه ضره، ومنهم: كثير العيال فكفافه ما يسد رمق عياله، ومنهم: من يقل عياله فلا يحتاج إلى زيادة، فقدر الكفاف غير مقدر، ومقداره غير معين لكن المحمود ما يحصل به القوة على الطاعة، والاشتغال به على قدر الحاجة". (المناوي، 1356، ج2، ج 100)

وهذه القيمة تعلم المسلم ترشيد الاستهلاك، وتعويد النفس على حد الكفاية حتى لا يركن إلى الدنيا وشهواتها، وبالمقابل تعطي هذه القيمة وفرة في السلع الضرورية في المجتمع مما يحد من الطلب عليها، فتنخفض أسعارها، وتصبح في متناول الجميع، وقد حولت المجتمعات هذه القيمة إلى سلوك في حياة أفرادها، فنلاحظ في أنماط استهلاك بعض أفراد المجتمعات الغربية أنهم يشترون ما يكفيهم من الخضار والفواكه وغيرهما ليوم واحد.

القيمة الثالثة: القناعة: القناعة من أعظم ثمرات التزام المسلم بتشريعات الإسلام في جميع شؤون حياته، والقناعة من أعمال القلب المبنية على الرضا بالقليل للقيام بحق شكره، ويسمى فاعلها قنوعاً، ولذا قيل:" القناعة من أعمال الْقُلُوب... لَا يُقَال هُوَ قنوع: إِلَّا إِذا اسْتعْمل دون مَا يحْتَاج إِلَيْهِ ". (العسكري، ص: 300)

وأما القناعة كقيمة تسهم في ترشيد الاستهلاك، فتعني:" الِاقْتِصَار على الْقَلِيل والتقتير" (العسكري، ص: 300) وحتى لا يلتبس مفهوم القنوع بالمقتصد، فقد قالوا:" مقتصد لمن لَا يتَجَاوَز الْحَاجة وَلَا يقصر دونهَا" (العسكري، ص: 300) والقنوع يكتفي بالقليل، ويقتر على نفسه، فالقنوع:" إِذا اسْتعْمل دون مَا يحْتَاج إِلَيْهِ".(العسكري، ص: 300)

وهذه القيمة ترتبط برضا المسلم بالإيمان بالقدر خيره وشره، وتسهم في ترشيد الاستهلاك بإقناع المستهلك بقدرته على الرضا بما يقضي حاجته من الأشياء المتوافرة دون تمنى المفقود من الحاجيات، ولذلك يُعرّف القانع بأنه:" الراضي بِمَا أعطَاهُ اللَّه" (أبوعبيد، 1964، ج 2، ص152) وعندما تتحقق هذه الصفة في سلوك المستهلك، فإنه يعمل على:" تَرْكُ التَّشَوُّفِ إِلَى الْمَفْقُودِ، وَالِاسْتِغْنَاءُ بِالْمَوْجُودِ". (الأصفهاني، 1974، ج10، ص 386)

وقد جعل النبيﷺ القناعة بما قسمه الله للعبد من رزق من أسباب فوزه ونجاحه في الدنيا والآخرة، فقال:" قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ"(مسلم، ج2، ص730، رقم: 1054) وأوصى النبيﷺ أبا هريرة بسلوك القناعة في حياته لأنها تورث العبد شكر الله على نعمه، وشكر الناس على فضلهم، فقال:" يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ...، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ". (ابن ماجه ج2، ص1410، رقم:4217)[4]

القيمة الرابعة: القوت: ترتبط هذه القيمة بحصول الإنسان على الضروري من الطعام الذي فيه استمرار حياته، وبفقده يهلك، أو يلحقه ضرار بالغ، وتدور تعريفات(القوت) حول هذا المعنى، منها:" *الْقُوت: مَا يمسك الرمق– الحياة– ". (الجوزي، ج3، ص 477)*

ولأهمية هذه القيمة في ترشيد الاستهلاك، وتعويد النفس على الصبر والاحتمال جاء في دعاء النبيﷺ قوله:" اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا"(البخاري، 1422، ج8، ص98، رقم: 6460) قال الطبري:" في اختيار رسول اللهﷺ، وخيار السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم شظف العيش، والصبر على مرارة الفقر والفاقة، ومقاساة خشونة خشن الملابس والمطاعم على خفض ذلك ودعته، وحلاوة الغنى ونعيمه ما أبان عن فضل الزهد فى الدنيا، وأخذ القوت والبلغة خاصة". (ابن بطال 2003، ج10ص 176)

وثمة فرق بين الكفاف والقوت، فالكفاف: تحقيق الكفاية من حاجيات الإنسان، والقوت: تحقيق الضروري لحياة للإنسان:" والقوت ما يسد به الرمق، وسمي قوتاً لحصول القوة" (فيض القدير، ج2، ص 100) وقد جاء هذا التفريق في حديث النبيﷺ عندما دعا لقبيلة، فقال:" اللهُمَّ ارْزُقْ عَنَزَةَ كَفَافًا، لَا قُوتًا وَلَا إِسْرَافًا" (الطبراني، ج7، ص 55، رقم:6364)[5] فالقوت أقل من الكفاف:" والكفاف ما لا يفضل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة والقوت ما يسد به الرمق سمي قوتا لحصول القوة به". (المناوي، 1356، ج2، ص 101)

وينبغي لمن كان في موضع القدوة في المجتمع الإسلامي كالعلماء والحكام أن يلزم طلب الكفاف، والزهد في الدنيا قدوتهم في ذلك النبيﷺ والصحابة الكرام، ولذلك دعا النبيﷺ:" لآله أن يكون رزقهم قوتًا، فلا يطغون بالإكثار، ولا يحسدهم أهل الدنيا في أرزاقهم، إذا رآهم الفقير استعمل الرضا، وإذا رآهم الغني استحيا". (ابن هبيرة، 1417، ج7، ص 158)

وأشار النبيﷺ إلى أن من أنعم الله عليه بنعمة الأمن في بلده، والصحة في جسده، وعنده قوت يوم واحد، فقد حاز أموراً عظيمة تستحق الرضا والشكر لله، فقالﷺ:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ

مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" (الترمذي، 1998، ج4، ص 152رقم: 2346، وقال الترمذي:هذا حديث حسن غريب) والمراد بالقوت:" أي بلغة تسد رمقهم وتمسك قوتهم بحيث لا ترهقهم الفاقة ولا تذلهم المسألة والحاجة، ولا يكون فيهم فضول يصل إلى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الغنى والفقر". (المناوي، 1356، ج2، ص 101)

القيمة الخامسة: البذاذة: من القيم التي عززتها السنة النبوية في ترشيد استهلاك الفرد والمجتمع للملابس وأدوات الزينة (البذاذة)، فمن شهوات النفس مداومة المرء التزين والتجمل في اللباس، وهذا النمط من السلوك الاستهلاكي يصيب المرء بنهم يدفعه إلى المزيد من الرغبة في تملك أدوات الزينة، والكماليات حتى تلهيه عن حاجاته الأساسية، وتجعله عبداً لها، ذليلاً لتحصيلها، ونهماً في استهلاكها لحاجة أو لغير حاجة، فقال رسول اللهﷺ:" تعس عبد القطيفة والخميصة". (البخاري، 1422، ج 8، ص 92، رقم: 6345)

وهذا الصورة من تجميل الظاهر قد تكون على حساب تزكية العبد لنفسه بمحاسن الأخلاق والفضائل، بل قد يصيبه الكبر والغرور والعجب فيؤدي إلى هلاكه، فقد جاء في حديث رسول اللهﷺ أنه قال:" بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ– شعر رأسه– وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ". (مسلم، ج3، ص1653، رقم:2088)

ولذا دعا النبيﷺ أمته إلى التزام هذه القيمة لأهميتها في ترشد الاستهلاك، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "الْبَذَاذَةُ مِنْ الْإِيمَانِ" (ابن ماجه، ج2، ص1379، رقم: 4118)[6] والبذاذة تعني:" تَرْكُ مُدَاوَمَةِ الزِّينَة" (ابن منظور، 1414، ج 3، ص477)، وقيل:" التَّوَاضُع فِي اللبَاس وَلبس مَالا يُؤَدِّي مِنْهُ إِلَى الْخُيَلَاء والرفول، وَأَن لذَلِك موقعا حسناً فِي الْإِيمَان". (الزمخشري، ج1، ص 90)

المطلب الثاني: مظاهر الاستهلاك السلبي: يقابل قيم الاستهلاك الصريحة الإيجابية، مظاهر الاستهلاك السلبي، والتي جاءت السنة النبوية للتحذير منها، ومن المخاطر التي تنتج عنها، ومن أبرز تلك المظاهر السلبية:

المظهر الأول: الإسراف: وضع الله للكون نظاماً متوازناً يسير عليه ولا يخرج عنه، ووضع للإنسان تشريعات تتسم بالوسطية والتوازن تنظم حياته، ومن تلك التشريعات: التوسط والاعتدال في المباحات بما يحقق المصالح، ويدفع المفاسد، لأن الخروج عن حد الاعتدال في المباحات إسراف، ولذا يدل الفعل(سَرَف) في اللغة على:" تَعَدِّي الْحَدِّ...، تَقُولُ: فِي الْأَمْرِ سَرَفٌ، أَيْ مُجَاوَزَةُ الْقَدْرِ" ابن فارس، 1979، ج3، ص 153)

وأما اصطلاحاً، فيعرّف الإسراف بـ" صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي" (الجرجاني، 1983، ص: 23) وقيل الإسراف:" هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس"(المناوي، 1990، ، ص: 50) فالإسراف يأخذ بعدين مهمين الكمي: كم تنفق؟ والكيفي: كيف تنفق؟:" وقد يقال تارة اعتباراً بالكمية، وتارة بالكيفية".(المناوي، 1990، ، ص: 50)

ولا شك أن الإيمان الصادق أحد أسباب الترشيد يعزز في المسلم عدم الإسراف في المباحات، فقد قال الله تعالى في وصف المؤمنين:{ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا، وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67] وغالباً ما يقع الإسراف في الأكل، والشرب، واللباس التي هي في حدها الأدنى من ضروريات الحياة، فكيف في الإسراف في كماليات الملابس والسيارات والعطور والحقائب وأدوات الزينة والبناء والولائم؟ وقد قال الله تعالى:{وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}. [الأعراف: 31]

ولا شك أن الإسراف في الإنفاق لا يأتي إلا بالمفسدة للمسرف وللمجتمع، ويستثنى من ذلك بابين لا يعدان من الإسراف:

الأول: الإنفاق في سبل الخيرات المشروعة والمتنوعة: كالصدقة على المحتاجين، وكفالة الأيتام، والوقف وغيرها، ولذلك قال العلماء: لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير، **والثاني:** الإنفاق على الاستثمار الحلال" فَأَمَّا الْإِنْفَاقُ فِيمَا يَبْقَى وَيَنْمُو، فَلَيْسَ بِسَرَفٍ كَشَرْيِ الضِّيَاعِ وَالْمَوَاشِي لِلنَّسْلِ لِأَنَّ هَذِهِ تُغَلُّ وَتَنْمُو، فَيَزْدَادُ بِمَا يُصْرَفُ فِيهَا أَضْعَافُهُ" (البيهقي، 2003، ج8، ص 489)

المظهر الثاني: الترف: يدل الفعل (تَرِفَ) في اللغة على التوسع في التنعم، ولذا يقال:" رَجُلٌ مُتْرَفٌ مُنَعَّمٌ، وَتَرَّفَهُ أَهْلُهُ إِذَا نَعَّمُوهُ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ " (ابن فارس، 1979، ج1، ص 345) وقالوا المترف هو الذي:" أفرط في التنعم" وتدل معاجم اللغة على أن الترف يؤدي إلى بطر النعمة والطغيان والفساد، لذا يقال أترفته النعمة:" أفسدته وأبطرته" (الصقلي، 1983، ج1، ص 118) " وأَتْرَفَتْهُ النِّعْمَةُ: أطغتْهُ...". (الفيروز آبادي، 2005، ص: 794)

ويقترن مفهوم الترف والمترفين في القرآن العظيم بالكفر بدعوة الأنبياء، و كفر النعمة والفساد والإفساد والهلاك قال الله تعالى:{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا }[الإسراء: 16] أي صار المترفون أصحاب الأمر والنهي في المجتمع، ففسدوا وأفسدوا الناس، ولما أحسوا بحلول العذاب عليهم، لم يجدوا ملجأ ولا مهرباً، قال الله تعالى:{ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ، لَا تَرْكُضُوا

وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 12، 13] قال ابن عاشور:" وَالْإِتْرَافُ: إِعْطَاءُ التَّرَفِ، وَهُوَ النَّعِيمُ وَرَفَهِ الْعَيْشِ، أَيِ ارْجِعُوا إِلَى مَا أُعْطِيتُمْ مِنَ الرَّفَاهِيَةِ وَإِلَى مَسَاكِنِكُمْ"(ابن عاشور، 1984، ج13، ص323) وقال تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ } [المؤمنون: 33] قال ابن عاشور:" وَتْرَوَتُهُمْ وَنِعْمَتُهُمْ تُغْرِيهِمْ بِالْكِبْرِ وَالصَّلَفِ إِذْ أَلِفُوا أَنْ يَكُونُوا سَادَةً لَا تَبَعًا". (ابن عاشور، 1984، ج18، 52)

ويمكن مما سبق تعريف الترف اصطلاحاً بأنه: التوسع في المباحات من ملاذ الدنيا وشهواتها، لذا قال ابن الأثير في تعريف المترف أنه:" المتَنَعّم المُتَوَسّع فِي مَلاَذّ الدُّنْيَا وشَهواتها" (ابن الأثير، 1979، ج1، ص187) فالترف من مظاهر الاستهلاك السلبي التي تؤدي إلى التوسع في المباحات من طعام، وشراب، ولباس، وبناء، ومقتنيات، وأي توسع من فئة من فئات المجتمع في ملذاتها وشهواتها وترفها يُولّد ضيقاً وفقراً وحرماناً عند فئات أخرى، والأولى بمن يملك فائض من الثروة أن ينعش مجتمعه بالاستثمار، والإنفاق في سبل الخيرات لتحقيق التوازن المعيشي في المجتمع، فإحياء الإنسان مقصد شرعي لأن الإنسان عماد حركة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وسنة الله في هلاك المترفين وإزالة دولهم لا تتخلف سواء أكانوا مسلمين أم كفاراً.

فالترف أهلك دولاً كفارس، والروم، واليونان، وأهلك أقواماً وأمماً كعاد، وثمود، وفرعون، وبني إسرائيل، فقد رافق الترف فساد أخلاقي، وإغراق في الشهوات والملذات، فلم تبق منهم إلا عمائرهم التي أترفوا فيها، وهذه الدولة العباسية أفسدها الترف والبطر حتى تهاوت أركانها إلى دويلات، والترف والتنازع على الدنيا أخرج المسلمين من الأندلس بلا عودة، وفي القرن العشرين سقطت فرنسا المترفة في أيدي الألمان في أول هجوم عليها "خرَّت راكعة ذليلة عند أول ضربة وجهها إليها الألمان. لا لنقص معداتها واستعدادها الحربي فقط، ولكن لأنها أمة لا كرامة لها تذود عنها. أمة غرقت في الشهوات الهابطة، واستغرقها المتاع الحسي، فخافت على عمائر باريس الفاخرة ومراقصها الفاجرة أن تحطمها القنابل ويدمرها القتال". (قطب، ص: 148)

المظهر الثالث: الإِرْفَاهِ: يدل على الانشغال في التنعم بالطعام والشراب واللباس والزينة، ويدل الفعل(رَفَهَ) على:" نَعْمَةٍ وَسَعَةٍ مَطْلَبٍ. مِنْ ذَلِكَ الرِّفْهُ، وَهُوَ أَنْ تَرِدَ الْإِبِلُ– الماء– كُلَّ يَوْمٍ مَتَى شَاءَتْ" (ابن فارس، 1979، ج2، ص 419) ومنه الإِرْفاهُ:" التَّنَعُّمُ والدَّعَةُ ومُظاهرةُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ، وَاللِّبَاسِ عَلَى اللِّبَاسِ" (ابن منظور، 1414، ج13، ص 492) ومنه الرفاهية:" سعة الرزق ونعومة العيش". (المناوي، 1990، ص: 179)

ولما كان إظهار نعمة الله على العبد في الطعام واللباس والزينة أمراً مشروعاً إلا أن الإكثار منه والانشغال به يخرجه إلى حد الإسراف، ويضبط ذلك قوله تعالى:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 31، 32] فالترشيد ليس تحريماً، ولكن الإسراف حرام.

وقد جاء النهي في الحديث عن كثرة الترفه حتى لا تصبح عادة تؤدي إلى الإسراف، فقد قال بعض الصحابة:" إِنَّ رَسُولَ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاهِ" (النسائي، ج8، ص318، رقم: 9268 قال الألباني: صحيح) قال ابن الأثير في تفسير(الْإِرْفَاهِ) :"هُوَ كثْرةُ التَّدهُّن والتَّنَعُّم. وَقِيلَ التَّوسُّع فِي المَشْرَب والمَطْعَم، قال الخطابي: الإرفاه: الاستكثار من الزينة، وأن لا يزال يهيئ نفسه، ... كره رسول الله الإفراط في التنعُّم والتدلُّك، والتدهن والترجيل". (ابن الأثير، 1979، ج 2، ص 247)

المظهر الرابع: التبذير: التبذير أشد من الإسراف والترف، فالسمة الغالب للمبذرين أنهم كسبوا المال الكثير من غير جهد ولا تعب، فأنفقوه بلا عقل ولا روية، كصورة من يبذر الحبوب في أرض، فتتطاير من يده البذور فتسقط في محلها، أو في غير محلها، وقال المناوي:" التبذير: تفريق المال على وجه الإسراف، وأصله إلقاء البذر فاستعير لكل مضيع لماله، فتبذير البذر تضييع في الظاهر لأنه لا يعرف مآل ما يلقي" .(المناوي، 1990، ص: 90)

وقد حرم الله التبذير، وحذر منه، وجعل فاعليه إخواناً للشياطين في إفساد الناس وإضلالهم، فقال الله تعالى:(وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (الإسراء: 27و26) وقد جلّى ابن عاشور الفوارق بين الإسراف والتبذير فقال:" وَالتَّبْذِيرُ: تَفْرِيقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ، وَهُوَ مُرَادِفُ الْإِسْرَافِ، فَإِنْفَاقُهُ فِي الْفَسَادِ تَبْذِيرٌ، وَلَوْ كَانَ الْمِقْدَارُ قَلِيلًا، وَإِنْفَاقُهُ فِي الْمُبَاحِ إِذَا بَلَغَ حَدَّ السَّرَفِ تَبْذِيرٌ". (ابن عاشور، 1984، ج15، ص 79)

والناظر في واقع الاستهلاك في العالم وفي مجتمعات المسلمين يرى أشكالا وصوراً للتبذير الذي يفسد المال، ولا يعود بالخير على الإنسان، بل إن هنالك ملايين من البشر يموتون جوعاً ومرضاً يومياً بلا عون ولا مساعدة، ويشير تقرير (برنامج

الأغذية العالمي) إلى:" ضرورة توفير(3.2) مليار دولار أمريكي كل عام لتغذية (66 مليون) طفل جائع في سن المدرسة" (http://ar.wfp.org/content/hunger-stats) ووفق تقرير منظمة الصحة العالمية:" في المتوسط شخص واحد يموت كل ثانية، إما بشكل مباشر أو غير مباشر من الجوع، (4000) كل ساعة، (100000) كل يوم، (36) مليون شخص سنوياً، (58%) من مجموع الوفيات، تقديرات (2001–2004)". (http://ar.wikipedia.org/wiki)

وعلى المسلم محدود الدخل لزوم القصد في الإنفاق لتحقيق الكفاية، وليحمي نفسه من الفاقة والفقر قال ابن عاشور:" وَوَجْهُ النَّهْيِ عَنِ التَّبْذِيرِ هُوَ أَنَّ الْمَالَ جُعِلَ عِوَضًا لِاقْتِنَاءِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ مِنْ ضَرُورِيَّاتٍ وَحَاجِيَّاتٍ وَتَحْسِينَاتٍ. وَكَانَ نِظَامُ الْقَصْدِ فِي إِنْفَاقِهِ ضَامِنَ كِفَايَتِهِ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ بِحَيْثُ إِذَا أُنْفِقَ فِي وَجْهِهِ عَلَى ذَلِكَ التَّرْتِيبِ بَيْنَ الضَّرُورِيِّ وَالْحَاجِيِّ وَالتَّحْسِينِيِّ أَمِنَ صَاحِبُهُ مِنَ الخصاصة فِيمَا هُوَ إِلَيْهِ أَشد احتياجا، فَتَجَاوز هَذَا الْحَدِّ فِيهِ يُسَمَّى تَبْذِيرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ ذَاتِ الْكَفَافِ". (ابن عاشور، 1984، ج15، ص 79)

وأما الأغنياء والأثرياء، فعليهم توجيه فضول أموالهم إلى أبواب الخير قال ابن عاشور:" وَأَمَّا أَهْلُ الْوَفْرِ وَالثَّرْوَةِ فَلِأَنَّ ذَلِك الوفر ءات مِنْ أَبْوَابٍ اتَّسَعَتْ لِأَحَدٍ فَضَاقَتْ عَلَى آخَرَ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ الْأَمْوَالَ مَحْدُودَةٌ، فَذَلِكَ الْوَفْرُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَحْفُوظًا لِإِقَامَةِ أَوَدِ الْمُعْوِزِينَ وَأَهْلِ الْحَاجَةِ الَّذِينَ يَزْدَادُ عَدَدُهُمْ بِمِقْدَارِ وَفْرَةِ الْأَمْوَالِ الَّتِي بِأَيْدِي أَهْلِ الْوَفْرِ وَالْجِدَةِ، فَهُوَ مَرْصُودٌ لِإِقَامَةِ مَصَالِحِ الْعَائِلَةِ وَالْقَبِيلَةِ وَبِالتَّالِي مَصَالِحُ الْأُمَّةِ. فَأَحْسَنُ مَا يُبْذَلُ فِيهِ وَفْرُ الْمَالِ هُوَ اكْتِسَابُ الزُّلْفَى عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى:(وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [التَّوْبَة:41]". (ابن عاشور، 1984، ج15، ص 79)

والتبذير يضر بعموم الأمة، ويضعفها أمام أعدائها، و:" يذهب وَالْمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ أَنْ تَكُونَ أَمْوَالُ الْأُمَّةِ عُدَّةً لَهَا وَقُوَّةً لِابْتِنَاءِ أَسَاسِ مَجْدِهَا وَالْحِفَاظِ، عَلَى مَكَانَتِهَا حَتَّى تَكُونَ مَرْهُوبَةَ الْجَانِبِ مَرْمُوقَةً بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ غَيْرَ مُحْتَاجَةٍ إِلَى مَنْ قَدْ يَسْتَغِلُّ حَاجَتَهَا فَيَبْتَزُّ مَنَافِعَهَا وَيُدْخِلَهَا تَحْتَ نِيرِ سُلْطَانِهِ" (ابن عاشور، 1984، ج15، ص 79) ويترتب على ما ذكرنا من مظاهر الاستهلاك السلبية – الإسراف والترف والتبذير– مفاسد أخلاقية كثيرة سأتحدث عنها في المبحث الثالث إن شاء الله.

ولمزيد تبيين قيم الاستهلاك الإيجابي، ومظاهر الاستهلاك السلبي مع مفاهيمها بعداً أو قرباً، سلباً أو إيجاباً، وانحرافها عن القيمة المعيارية، والتي هي (الاقتصاد) قمت بوضع الجدول الآتي:

الانحراف المعياري للقيمة	القيمة	تعريفها
4	البذاذة	ترك المداومة على الزينة، والتجمل
3	القوت	القوت ما يسد به الرمق
2	القناعة	الِاقْتِصَار على الْقَلِيل والتقتير
1	الكفاف	مقدار ما يتبلغ به، فيكفيه عن السؤال والحاجة إلى الناس
0	**الاقتصاد**	**التوسط والاعتدال في إنفاق المال في امتلاك السلع للانتفاع بها**
الانحراف المعياري لمظاهر الاستهلاك السلبي		
1–	الإسراف	صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي
2–	الترف	التوسع في المباحات من ملاذ الدنيا وشهواتها
3–	الْإِرْفَاهِ	الانشغال بالشهوات المباحة كـ :التَّدهُّن، والتَّنَعُّم، والطعام وغيرها
4–	التبذير	إنفاق المال في غير منفعة مشروعة

المبحث الثالث: تفعيل قيم ترشيد الاستهلاك الإيجابية الواردة في السنة النبوية:

خلق الله الكون خلقاً متوازناً كل شيء فيه بمقدار حركة أو سكوناً موتاً أو حياة قائم على التقدير والمقادير التي وضعها الله لتسيير الكون، يدل على ذلك قوله تعالى:{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] هذا النظام الفطري الشمولي المتوازن في الكون يعطي المسلم نظرة دقيقة لتنظيم حياته بشكل شامل ومتوازن، وكان من رحمة الله أن جعل تشريعاته للبشر تتطبق مع النظام الكوني حتى يسترشد الناس في إصلاح معاشهم بناء على السنن الإلهية في الأكوان، والسنن التي أشار إليها القرآن، ومن ثمّ كان إرسال الرسل لإعطاء البرهان على قدرة الإنسان على السير على هدي سنن الله، وإقامة الحجة عليهم ببشر

مثلهم يوحى إليه.

لقد جاءت قيم ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية صريحة وواضحة بحيث يستطيع المسلم أن يدركها بكل سهولة ويسر، أو مضمنة للسنة الفعلية كسلوك للنبيﷺ وأزواجه والصحابة رضي الله عنهم، أو بإقرار النبيﷺ لسلوك أفراد من المجتمع لقيم ترشيد الاستهلاك، إلا أن هذه القيم بشقيها الصريحة والضمنية لا بد أن تتحول إلى سلوك فاعل ومؤثر في حياة المسلم، وذلك من خلال الاهتمام بتنشئة الأفراد منذ الصغر تنشئة اجتماعية واعية على تلك القيم التي يمكن للفرد المسلم والمجتمع تحقيقها كهدف عام في السلوك الواعي للفرد المسلم من خلال المراحل العملية الآتية:

المطلب الأول: تحديد القيم، والتعريف بها كقيم معيارية يمكن بها قياس سلوك المستهلك، ويمكن تحقيق ذلك من خلال المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: استنباط قيم الاستهلاك الإيجابية، ومظاهر الاستهلاك السلبي من السنة النبوية: يحتاج استنباط قيم ترشيد الاستهلاك خاصة الضمنية إلى جهد علمي دقيق ومنظم، يقوم على عدة خطوات: إحصاء تلك القيم، وتصنيفها بحيث يسهل وصول المستهلك إليها، ويسهل على المؤسسات التي تعمل على نشر الوعي بأهمية ترشيد الاستهلاك من الإفادة منها في برامجها التربوية والتوعوية للمستهلك، وحتى تكون عملية استنباط القيم علمية ودقيقة لابد من اتباع أربع خطوات متكاملة:

الخطوة الأولى: استخراج قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة وفرزها.

الخطوة الثانية: إحصاء قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة النبوية، ثم تصنيفها وفق تصنيف القيم الإيجابية، ووفق أهميتها والحكم الشرعي المتعلق بها إباحة أو حضراً .

الخطوة الثالثة: وضع تعريفات علمية معيارية دقيقة للقيم بحيث تكون واضحة في أذهان المكلفين وسلوكهم، وكذلك في تصور المؤسسات التي تهتم بترشيد الاستهلاك، كما وتخدم الباحثين في أبحاثهم العلمية باعتبارها مفاهيمهم مُعَّرفة تعريفاً علمياً دقيقاً، بحيث لا تتداخل دلالة مفهوم بآخر.

الخطوة الرابعة: وضع أدوات قياس نستطيع بها قياس مدى تمثل المكلفين لهذه القيم في سلوكهم، وبناء على النتائج توضع الخطط والبرامج التي من شأنها أن تعدل السلوك السلبي للمستهلك، وتعزز السلوك الإيجابي فيه.

المرحلة الثانية: العمل على تحفيز دافعية المستهلك للالتزام بهذه القيم: تعد الدوافع المحرك الأساس لسلوك الإنسان، والمؤثر في ميوله وتوجهاته للانتفاع بما حوله، وغاية الفلسفات الوضعية من الاستهلاك تحقيق المتعة والتلذذ لتحقيق الراحة والسعادة للإنسان بالكشف عن المزيد من خيرات الكون، مما أدى إلى استنفاذ كثير من خيرات الأرض، أو تهديدها بالنفاد، وتلويث الأرض بما يهدد ساكنيها، ولذلك سعت كثير من الدول إلى حمل مواطنيها على ترشيد الاستهلاك بوسائل متنوعة، منها: كالضرائب وتخصيص حصص غذائية للفرد، ورفع الأسعار، وقامت بجهود إعلامية تبين مضار زيادة الاستهلاك على الصحة والبيئة والدخل، وكل ما سبق محفزات خارجية لإلزام المستهلك بترشيد الاستهلاك.

وأما دوافع التزام المسلم بترشيد الاستهلاك فهي دوافع داخلية مبنية على قيم إيمانية وتعبدية، وأخلاقية، يُربى عليها المسلم منذ صغره، ويتطور تفاعله مع تلك القيم حتى تصبح تكليفاً شرعياً عند سن البلوغ والرشد، وإلى نهاية العمر، وتلك الدوافع يعززها في نفس المسلم أمور منها: سعي المسلم إلى نيل مرضاة الله، ومحبته للاقتداء بالنبيﷺ والصحابة الكرام، ورغبته في الثواب، وتجنب العذاب يوم القيامة، والتحقق في شكر الله على نعمه، وبذلك لا يمكن فصل قيم ترشيد الاستهلاك عن منظومات القيم العقدية، والتعبدية، والأخلاقية لإحداث تعديل إيجابي على سلوك المستهلك.

المرحلة الثالثة: الأنموذج والقدوة: إن معرفة القيمة وفهم دلالتها، والإحاطة بأنماط السلوك المتعلق بها أمر مهم جداً في البعد النظري للقيم، أما الشطر الثاني في قيم ترشيد الاستهلاك فهو القدوة العملية لنماذج بشرية استوعبت قيم ترشيد الاستهلاك وعملت بها، وقدمت البرهان العملي على أنها من ضمن استطاعة البشر، وهذه الاستطاعة لها بعدان أساسيان:

البعد الأول: التمثل القسري لقيم ترشيد الاستهلاك: وهذه سنة كونية تلجئ الكائن الحي في ظروف قاهرة إلى ترشيد الاستهلاك إلى الحدود الدنيا من حاجياته الاستهلاكية ومن تلك الظروف: المرض، والحمية، وقلة الموارد، ومحدودية الدخل، إلا أن هذا النوع من الترشيد لا يهذب النفس، ولا ينمي الدافعية للالتزام بالترشيد، فإذا ذهبت تلك المحددات رجع الإنسان إلى نهمه وإفراطه في الاستهلاك، والتنافس والتنازع على الشهوات، فالنبيﷺ لم يخف على صحابته الظروف القسرية التي ألجأتهم إلى ترشيد الاستهلاك، إنما خاف عليهم، التوسع في مباحات الدنيا والتكالب عليها، فقال:" فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ" (البخاري، 1422، ج 8، ص 90، رقم:6425)

ب- التمثل بالإرادة: التزام الإنسان بقيم ترشيد الاستهلاك،

وترويض النفس وتربيتها عليها يعطي النموذج الواقعي لتمثل تلك القيم، والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئة بقصص الأنبياء والصالحين التي تقدم الأنموذج القدوة في التزام القيم الصالحة، ومنها قيم ترشيد الاستهلاك، فقد جاء في الحديث عن النبيﷺ أنه قال:" لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ" (البخاري، 1422، ج 8، ص 95، رقم:6446) فالحديث يبين أن الغنى لا يقاس بكثرة ما يملكه الإنسان من مال وعقار، ولا ما يصل إليه من شهوات وملذات، وإنما الغنى بالرضا عن عطاء الله، والقناعة والشكر، وهذا القيم تدفع المسلم إلى تمثل قيم ترشيد الاستهلاك.

كما يحمل تمثل المسلم لقيم ترشيد الاستهلاك في الإسلام بعداً آخر كونها تكاليف شرعيةً يترتب على فعلها ثواباً أو عقاباً، لذلك يلتزم المسلم تلك القيم طلباً لثواب من الله أو خوفاً من عقابه، فقد جاء في الحديث أن النبيﷺ قال:" لاَ تَزُولُ قَدَما عبد يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ ...، وعنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ". (الترمذي، 1998، ج4، ص، 190، رقم: 2417، وقال: هذا حديث حسن صحيح)

المطلب الثاني: تعزيز سلوك المكلف للالتزام بقيم ترشيد الاستهلاك:

يحتاج المكلف حتى يلتزم بقيم ترشيد الاستهلاك إلى تشكيل وعي لديه بأهميتها، وتعزيز مستمر لالتزامه بها حتى يتحول سلوكه من انفعال وتفاعل قصير مع تلك القيم إلى نمط حياتي يعمل به، ويسعى إلى نشره في مجتمعه وتأكيده والدعوة إليه، ولذا يمكن تعزيز سلوك المكلفين نحو ترشيد الاستهلاك بطريقتين:

الطريقة الأولى: بيان إيجابيات قيم ترشيد الاستهلاك: من الأمور التي تعزز سلوك المكلف لالتزام قيم ترشيد الاستهلاك بيان إيجابيات تلك القيم للمستهلك، ومن أهم الايجابيات التي يمكن أبرازها أن ترشيد الاستهلاك يحقق:

الإيجابية الأولى: ببيان أن ترشيد الاستهلاك منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام: فقد بيّن النبيﷺ أن الاقتصاد في الإنفاق منهج دعا إليه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام أجمع، فهذا الهدي من منهاج النبوة الموحى به إلى رسل الله أجمعين، والذي شرعه الله لعباده لتحقيق مصالحهم، ودفع المفاسد عنهم، وقد جاء التنبيه على هذا المعنى في قول النبيﷺ: "الاقْتِصَادُ ...، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ" (الترمذي، 1998، ج3، ص434، وقال: هذا حديث حسن غريب) أَيْ:" أَنَّ هَذِهِ الخِلاَلَ مِنْ شمَائل الْأَنْبِيَاءِ، ومِن جُمْلة الخِصال المعْدُودة مِنْ خِصالهم، وأَنَّها جُزْءٌ مَعْلُوم مِنْ أَجْزَاء أَفْعَالِهم، فاقْتَدوا بِهِمْ فِيهَا وتابِعُوهم عَلَيْهَا". (ابن الأثير، ج1، ص265)

الإيجابية الثانية: إن ترشيد الاستهلاك يحقق الوفر النقدي: توافر السلع وتنوعها في الأسواق يدفع المستهلك إلى المزيد من الإسراف في الإنفاق غير الواعي، والنهم في التسوق وشراء ما لا يلزمه، وتوعية المستهلك بأهمية ترشيد الاستهلاك وما يترتب عليه من ادخار للمال الذي يمكن توظيفه في استثمارات تعود عليه بدخل جديد، أو تمكنه من الاحتياط لأي أمر طارئ في حياته كالعجز والمرض وغيرها، أو في بذله في سبل الخيرات التي من شكر النعم التي تعود عليه بالثواب في الآخرة والبركة في الدنيا، "واستبدال ثقافة الاستهلاك بثقافة الادخار، فالمتوسط العالمي للادخار يبلغ 21 %، ويرتفع إلى 39% في بلدان شرق آسيا، فيما يبلغ المعدل ذروته في الصين مسجلاً 47%، وأن المعدل لا يتعدى في الدول العربية الغنية بالنفط 18 %، على رغم من تمتعها بمستوى دخل جيد، وينخفض المعدل ليسجل 17% في مصر"(http://www. alssunnah. com/ main/ articles.aspx? article_no=2323) وإلى هذا المعنى أشار حديث النبيﷺ: " مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ " (ابن حنبل، 2001، ج 7، ص 302، رقم:4269)[1] وأكد النبيﷺ هذا المعنى في دعائه في السجود، فقال:" أَسْأَلُك الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى". (ابن حنبل، 2001، ج30، ص 265)[2]

الإيجابية الثالثة: التنبيه على أن الاقتصاد في النفقة يلازم المسلم في كل الظروف: فقد يظن بعض الناس أن الاقتصاد في النفقة يكون في حالة ضيق اليد والعسر، فإذا ملك المال أسرف في الإنفاق، وحتى تثمر هذه القيمة في حياة المسلم يلزمه أن يتمثلها في جميع أحواله سعة أو ضيقاً، فقد جاء في الحديث عن النبيﷺ أنه قال:" وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ".(الحاكم، 1990، ج1، ص705 وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ)

الإيجابية الرابعة: التأكيد على أن ترشيد الاستهلاك سبيل لنجاة الفرد والمجتمع: إن المتتبع لأحوال المجتمعات في التاريخ الإنساني، أو في القرآن الكريم يرى أن من أهم أسباب هلاك المجتمعات ودمارها الترف والإسراف، وأن المجتمعات التي اتبعت المرسلين، وتخلت عن الغرق في الشهوات والملذات نجت من الهلاك والدمار، وقد نبه النبيﷺ على هذا المعنى بقوله:" ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خشية الله في السر والعلن، والعدل في الرضا والغضب، والاِقْتِصَادُ فِي الْغِنَى وَالْفَاقَةِ...". (الدولابي، 2000، ج2، ص 469)[3]

الطريقة الثانية: بيان سلبيات زيادة الاستهلاك: الهدف الأساسي من نشر الوعي بمخاطر زيادة الاستهلاك تعديل سلوك المستهلكين مما يؤدي إلى تقليل المخاطر التي تترتب على زيادة الاستهلاك في مختلف جوانب الحياة، ومن أبرز

تلك السلبيات:

1-السلبيات الصحية: انتشر الوعي الصحي بمخاطر زيادة استهلاك الغذاء في المجتمعات بشكل كبير، فقد نشطت وسائل الإعلام ومراكز الأبحاث العلمية والطبية المختلفة في توعية المستهلكين بمخاطر الإسراف في الطعام والشراب على البدن ووظائفه الحيوية، وبذلك شكل الوعي الصحي وسيلة مؤثرة في ترشيد الاستهلاك على مستوى الفرد والمجتمع، ومن أبرز السلبيات الصحية التي تحدثها زيادة الاستهلاك الغذائي:

أ-**الضرر البدني:** التي ترتبط بالتحذير من الإسراف في استهلاك الغذاء الذي أدى إلى كثير من أمراض العصر المرتبطة بالسمنة كارتفاع ضغط الدم، ومرض السكري، وتصلب الشرايين وغيرها، فنشر الوعي في هذا الجانب يعني توعية المستهلك بحاجته الفعلية للغذاء في اليوم الواحد، وبيان المضار الصحية للإسراف في استهلاك الغذاء كأمراض السكري والضغط وتصلب الشرايين وغيرها، وفي هذا الجانب نبه النبيﷺ في قوله:" مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ، لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كان لا محالة، فَثُلُثٌ لطَّعَامِه، وَثُلُثٌ لشَرَابِه، وَثُلُثٌ لنَّفَسِه" (الترمذي، 1998، ج4، ص168، رقم:2380، وقال الترمذي:هذا حديث حسن صحيح) أن البطن وعاء يحوي الرئتين والقلب والكبد والكلى وغيرها، وأن ملأ البطن بالطعام مضر وشر كثير لا يعلم ضرره الإنسان وبعد هذا التحذير من الإسراف في الغذاء جاء التأكيد على سلوك إيجابي إلى ثلاثة أقسام فهذه حاجة الجسم الفعلية.

ويكفي أن نبين جانباً خطيراً يترتب على الإسراف في استهلاك الطعام والشراب على الإنفاق العام للدول، فقد صرح د. كامل العجلوني رئيس المركز الوطني للسكر والغدد الصم والوراثة في الأردن:" أن الكلفة المباشرة لمرضى السكري مليار دينار أردني في عام2012م" (http://www.marayanews.com/) وبين ممثل الاتحاد العالمي لمرض السكر أن:" تكاليف علاج السكري يستنزف (25%) من ميزانيات دول الخليج" (http:// www. alriyadh. com/home/2015/ 01/20) وبحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية، فإن " عام 2014م شهد وفاة نحو(3.4) مليون نسمة نتيجة ارتفاع نسبة السكر في الدم". (http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs312/ar/)

ب-الضرار النفسي: تحقيق التوازن النفسي لمستهلك السلع والخدمات أمر ضروري يحمي المستهلك من الإدمان على التسوق، فالأنماط الاستهلاكية المعاصرة ومن خلال الدعاية للسلع ولدت النهم عند المستهلكين في اقتناء السلع التي يحتاجونها والتي لا يحتاجونها، بل أصبح التسوق الاستهلاكي يروج له إعلامياً تحت لافتات تشجيعية مثل: (متعة التسوق) و(مهرجانات التسوق) و(التخفيضات) لتعميق مظاهر الاستهلاك السلبي، ثم جاء بعد ذلك التسوق الإلكتروني الذي شكل أزمة نفسية عند المستهلكين تمثلت بهدر الأوقات والأموال في التسوق، والتشوف إلى كل جديد، وهذا ما حذر منه النبيﷺ، فقال:" تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ". (البخاري، 1422، ج 8، ص 92، رقم: 6345)

وقد صنف مرض إدمان التسوق كمرض نفسي يزيد الاستهلاك لغير حاجة :" قبل قرن من الزمان على يد عالم النفس في مدينة لايبزيج الألمانية إميل كريبلين" (http://www.alyaum.com/article/2605101) وقد أوضحت دراسة ألمانية:" أن نسبة 10% من المستهلكين في الدول الصناعية يعانون من إدمان الشراء المرضي (أونيو مانيا) الأمر الذي دفع باحثين إلى تطوير علاج جديد لمكافحته والتقليل من أضراره النفسية والاقتصادية".(http://www. alyaum. com / article/2605101)

2- **السلبيات الاقتصادية:** يؤدي زيادة الاستهلاك السلع إلى مخاطر اقتصادية كثيرة من أبرزها:

أ-**ارتفاع أسعار السلع، والخدمات:** فكلما زاد الطلب على السلع والخدمات من المستهلكين ارتفعت أسعارها، فلا يصل إلى تحصيل الضروري منها إلا من كان غنياً، وبذلك يزداد الفقر والجوع والجريمة في المجتمع، وقد أخبر النبيﷺ أن من أشراط الساعة كثرة المال وزيادته في أيدي الناس، ولكنه لا يكفيهكم، فقال:" ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطًا"(البخاري، 1422، ج 4، ص 101، رقم: 3176) وسبب السخط إما الجشع وحب المال الذي جبلت عليه النفوس، أو أن المبلغ الكبير فقد قيمته الشرائية، فلا يحقق رغبات المستهلك الكثيرة، فيستقله ويحتقره، وهذا من كفر النعمة.

وكان من منهج السلف الصالح ترك السلع التي يرتفع ثمنها، لكي يكثر العرض فيقل سعرها، فقد كتب أهل مكة إلى علي بن أبي طالب بالكوفة أن الزبيب بِمَكَّة غلا ثمنه:" فَكتب أَن أرخصوه بِالتَّمْرِ" (ابن معين، 1979، ج3، ص 113) ويلاحظ الناس أن ارتفاع أسعار السلع الغذائية في شهر رمضان سببه تهافت الصائمين على شراء الغذاء بأنواعه المختلفة بكميات كبيرة، ولا يدركون أن من حِكم صوم رمضان التخفف من المباحات.

ب- ازدياد الفقر: تحكم فلسفات اقتصادية وضعية- كالرأسمالية- أقوى اقتصاديات العالم المعاصر، وتهيمن على

حركة الإنتاج العالمي وتوزيعه، ونتيجة لذلك حققت زيادة واضحة في دخل الفرد في المجتمعات الغربية، وتحسناً في قدرته الشرائية، فازداد الاستهلاك في المجتمع الغربي إلى حد البطر والترف والإسراف والتبذير مستأثرين بأغلب خيرات الأرض على حساب الشعوب الأخرى، وقابل ذلك الترف فقر شديد ومجاعات وشقاء في مجتمعات العالم الثالث لا يرضى به مسلم في الجوار البلدي ولا في الجوار الإقليمي، فقد جاء في الحديث عن النبيﷺ أنه قال:" وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى". (ابن حنبل، 2001، ج8، ص481 رقم:488)[4]

إن زيادة استهلاك الغذاء والخدمات يؤدي إلى زيادة الطلب عليها، فترتفع الأسعار، ويعجز أصحاب الدخل المحدود عن شراء سلعهم الضرورية، فيزداد عدد الفقراء في العالم، فقد أكدت دراسة للبنك الدولي حول الفقر في الأردن مفادها:" يؤدي رفع الدعم الحكومي عن السلع إلى زيادة تراكمية في معدل الفقر بنسبة 3.4". http://www.garaanews.com/jonews/garaanews-(1/36710.html)

3- المفاسد الأخلاقية: لا شك أن انتشار الاستهلاك الإسرافي، أو الترفي، أو التبذيري يؤدي إلى فساد أخلاق المجتمع سواء أكانوا فقراء أم مترفين، ومن أبرز المفاسد الأخلاقية:

أولاً: البطر: يترتب على الأمن المجتمعي، والترف الاجتماعي، والإغراق في الملذات والشهوات لفترة طويلة إلى بطر النعمة، ويدل الفعل (بَطَرَ) في اللغة على:" الشَّقُّ...، و: تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي الْمَرَحِ" (ابن فارس، 1979، ج1، ص262) وأما تعريف البطر اصطلاحاً، فهو:" دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها" (المناوي، 1990، ص: 79) وقال تعالى:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص: 58] وبطر المعيشة في الآية له تفسيران:" أحدها: يعني بطرت في معيشتها...، الثاني: أبطرتها معيشتها". (الماوردي، ج 4، ص261)

فكثيراً ما يؤدي دوام النعم على الناس إلى الكبر والغرور، وطلب المزيد بلا شكر لله، فيزدرون النعمة ويحتقرونها، ويستقلونها، ولا يؤدون حق الله فيها، وقال ابن عاشور في تفسير الآية السابقة:" فيها تَضْمِينِ بَطِرَتْ مَعْنَى: كَفَرَتْ لِأَنَّ الْبَطَرَ وَهُوَ التَّكَبُّرُ يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الِاعْتِرَافِ بِمَا يُسْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ... حَالَةُ الْأَمْنِ وَالرِّزْقِ".(ابن عاشور، 1984، ج20، ص150)

وقد يحمل الكبر أهل البطر على إنكار حقوق الله عليهم، وظلم الناس، واحتقارهم قال مقاتل في تفسير(بطرت معيشتها):" بطروا وأشروا، وتقلبوا في رزق الله، فلم يشكروا نعمه، وقال عطاء: عاشوا في البطر، فأكلوا رزق الله، وعبدوا الأصنام" (الواحدي، 1430، ج17، ص 428) وقد بين النبيﷺ مفهوم الكبر بمعنيين واضحين رفض الحق على إطلاقه، واحتقار الناس والطعن فيهم، فقال رسول الله:" الكبر بطر الحق، وغمط الناس"(مسلم، ج1، ص93، برقم:147) ومن معاني بطر الحق:" أَن يَجْعَل الْحق بَاطِلاً". (الجوزي، 1979، ج1، ص76)

وقال بيّن الإمام الغزالي جملة من سلوكيات أهل البطر فقال:" وأما التهافت في الكلام والتشدق، والاستغراق في الضحك، والحدة في الحركة والنطق، فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى، وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين". (الغزالي، ج1، ص75)

ثانياً: الأشر: إن دوام النعمة على المترفين قد يدفعهم إلى الشر والتهور والحماقات والسفه، إن لم يرزقوا مع النعمة الشكر والإيمان. ويدل الفعل(أَشَرَ) على إنسان:" بَطِرٌ مُتَسَرِّعٌ ذُو حِدَّةٍ" (ابن فارس، 1979، ج1، ص 108) وأما الأشر اصطلاحاً، فهو:" كفر النعمة، وشدة البطر، فهو أبلغ منه- البطر-" (المناوي، 1990، ص:52) وقد وردت هذه اللفظة في قوله تعالى:{سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ} [القمر: 26] والأشر في الآية:" المتعدي إلى منزلة لا يستحقها" (الماوردي، ج5، ص 415) ومما سبق يمكن أن يقال إن الأشِر: إنسان اندفع إلى الملذات بتسرع وتهور، ونشاط وغرور وإعجاب بالنفس.

وقد حذر النبيﷺ أمته من سلوك سنن الأمم السابقة في الفساد والإفساد، ودعاها إلى السير على منهاج النبوة، فإن لم تأخذ به أصابها أدواء الأمم السابقة التي أهلكتها، فقال النبيﷺ :" سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ:" الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ ..." (الحاكم، 1990، ج4، 185، رقم: 7311، وصححه الذهبي) وقد ظهر في عصور الترف والنعمة التي عاشها المسلمون صوراً من الأشر والفساد الذي أضعف سلطان العدل، فكانت نتيجته الضعف والهوان، وتسلط الأعداء.

ولقد زجر النبيﷺ المسلمين عن مظهر من المظاهر الدالة على الأشر، وهو اقتناء الخيل لأجل المفاخرة والتكبر، فالخيل سخرها الله للإنسان ركوبة في الجهاد والأسفار، وتجارة ومغنماً، فإن اتخذها أشراً وغروراً وكبراً ناله الوزر والإثم، فقد قال النبيﷺ:" وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وِزْرٌ، فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشَرًا وَبَطَرًا...، فَذَاكَ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ". (مسلم، ج2، ص 682، رقم:987)

ثالثاً: البذخ: يبرز هذا الخلق على جوارح الإنسان بصور متنوعة، منها: التفاخر في الكلام، والإعجاب بالنفس والغرور، وتدل كلمة (بَذَخَ) في اللغة على هذه المعاني، فقالوا:" الْعُلُوُّ وَالتَّعَظُّمُ" (ابن فارس، 1979، ج 1، ص 218) ويقال (بَذَخ) و(تبَذَّخَ) الرجل:" تَطَاوُلِ الرَّجُلِ بِكَلَامِهِ وَافْتِخَارِهِ...، وتَبَذَّخَ: تَطَاوَلَ وَتَكَبَّرَ وفَخَر وَعَلَا".(ابن منظور، 1414، ج 3، ص 7)

والبذخ خلق مذموم، وقد جاء نهي النبيﷺ عن اتخاذ الخيل بذخاً، فقال:" وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وِزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشَرًا وَبَطَرًا، وَبَذَخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ"(مسلم، ج2، ص 682، رقم:987) البَذَخ- بِالتَّحْرِيكِ-:" الفَخْر والتَّطَاوُل"(ابن الأثير، ج1، ص 110) ويمكن أن نشتق تعريفاً اصطلاحياً للبذخ مما سبق، فنقول البذخ: استخدام النعمة في الفخر والتطاول والتعالي على الناس. ولاشك أن التفاخر معصية قلبية يُرى أثرها على الجوارح تحبط العمل، وتهلك صاحبها، وتجلب له مقت الله، وسخط الناس.

رابعاً: الخيلاء: من أخلاق المترفين التي تظهر على جوارحهم التبختر في المشية، والإعجاب بالنفس والغرور، قال ابن فارس في دلالة الفعل (خَيَلَ):" حَرَكَةٍ فِي تَلَوُّنٍ" (ابن فارس، 1979، ج 2، ص235) ومنه أخذ (الاختيال) وهي صفة ذميمة تدل على:" التجبر والتكبر والاحتقار بِالنَّاس". (أبو عبيد، 1964، ج2، ص 119)

ومن مظاهر الخيلاء على جوارح المختالين مشيتهم المتعالية، وجر ثيابهم خلفهم خيلاء، ولذا جاء تحذير النبي ﷺ من أفعال المختالين في اللباس، فقال:" لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ"(البخاري، 1422، ج7، ص 141، رقم:5783) قالوا الخيلاء:" التكبر فِي الْمَشْي وَلَا يكون ذَلِك إِلَّا مَعَ سحب إزَار".(الأزدي، 1987، ج1، ص 622)

وقد بيّن النبيﷺ أن الله توعد المختالين بثلاث عقوبات تنتهي بالعذاب الأليم، فقال:" ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...، الْمُسْبِلُ "(مسلم، ج1، ص102، رقم:171) قال المناوي:" (لَا يكلمهم الله) تَعَالَى تكليم رضَا عَنْهُم أَو كلاماً يسرهم...، (وَلَا ينظر إِلَيْهِم) نظر رَحْمَة وَعطف (وَلَا يزكيهم)لا يطهرهم من الذُّنُوب". (المناوي، 1988، ج1، ص 479)

وقد نبه علماء التزكية على مفاسد الإسراف والترف على القيم الأخلاقية في المجتمع، فقال الإمام الغزالي:" والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات، وضروب المنافسات والمحاسدات، ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة". (الغزالي، ج3، ص80)

خامساً:المفاسد البيئية: التوازن البيئي قيمة كونية، فقد خلق الله كل شيء في الكون بقدر محدد لينتظم أمر الكون، وكان من أبرز خصائص منظومات القيم الإسلامية في الاعتقاد، والأخلاق، والعبادة، والتعامل الوسطية، والإنسان باعتباره مستخلف في الأرض عليه أن يسعى إلى عمارتها بما يحافظ على التوازن في مكوناتها، وأي إفساد في الأرض سيكون سببه السلوك الإنساني، قال الله تعالى:{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41] فالنهم في الاستهلاك يؤدي إلى الإخلال بالتوازن البيئي: كتلوث الهواء والماء والغذاء، ونضوب مصادر الطاقة غير المتجددة، وأما في البحار فالزيادة في إلقاء النفايات في البحار سواء أ كانت أولية أم كيماوية أو إشعاعية، وتسرب النفط قد قضى على كثير من الكائنات الحية في البحار، وأدى إلى تلوث غذاء الإنسان البحري بتلك الملوثات، والتي تسبب أمراضاً خطيرة للإنسان، فقد أثبتت الأبحاث أن تلوث مياه البحر المتوسط قد أدى إلى:" وجود البكتيريا الممرضة والفيروسات التي تسبب الإصابات التيفية والإسهال، كما يحذرون من شلل الأطفال". (http://kenanaonline .com/users /lobnamohamed/posts/321208)

النتائج، والتوصيات:

أولاً: النتائج: توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها ما يأتي:

- قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة النبوية قيم إنسانية عالمية يمكن أن تحد من الاستهلاك الإسرافي والترفي في العالم
- قيم ترشيد الاستهلاك الصريحة الواردة في السنة النبوية مبرهن على صدقها بالسنة الفعلية، والتقريرية.
- قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة النبوية تحوي جانباً معياريا يقيس سلوك المستهلك
- تتكامل قيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة مع سائر منظومات القيم الإيمانية، والتعبدية، والأخلاقية.
- يعتقد المسلم أن الالتزام بقيم ترشيد الاستهلاك عبادة يثاب المسلم عليها ضمن طاقته ووسعه.

– قيم الاستهلاك الإيجابية، ومخالفة مظاهر الاستهلاك السلبي أحكام تكليفيه تأخذ أحكام الشرع الخمس.

– يترتب على الالتزام بقيم ترشيد الاستهلاك الواردة في السنة منافع دنيوية، ودينية.

– القيم الواردة في السنة النبوية تؤثر على سلوك المستهلك المسلم أكثر من غيرها بسبب تعظيمه لسنة نبيه وهديه.

ثانياً:التوصيات: يوصي الباحث في ختام دراسته بالأمور الآتية:

– أوصي بأن تتبنى المؤسسات التي تعنى بترشيد الاستهلاك نشر القيم الواردة في السنة النبوية للحد من الاستهلاك الإسرافي والترفي.

– أوصي المؤسسات التي تعنى بترشيد الاستهلاك بتوعية المستهلك بمخاطر الاستهلاك السلبي.

الهوامش

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج3ص281

(2) حديث صحيح، قال الذهبي:" على شرط البخاري ومسلم" (الحاكم،1990،ج2،ص4)

(3) قال الذهبي:" حديث صحيح"(الحاكم،1990،ج4،ص367)

(4) قال البيهقي:" هذا إسناد ضعيف" (البيهقي،2003، ج10، ص405)

(5) قلت: الحديث ضعيف، ولكن بعد اطلاعي على عدة طرق للحديث، فإنه يرتقي بمجموع طرقه إلى الحسن لغيره، والله أعلم

(6) قلت: الحديث ضعيف، في إسناده مجهولين، وقال الهيثمي:" وفيه من لم أعرفهم" (الهيثمي،1994،ج10، ص51)

(7) قلت: بعد دراسة الحديث توصلت إلى أن الحديث حديث حسن

(8) قال ابن القطان:" ينبغي أن يقال فيه: ضعيف"(ابن القطان،1997،ج4،ص597)

(9) صحح الحديث الإمام الحاكم، ووافقه الذهبي(الحاكم،1990، ج1،ص705) وافقهم على تصحيحه الألباني

(10) قلت: الحديث ضعيف، قال الحافظ العراقي:" سنده ضعيف" (العراقي،2005،ج1،ص1145)

(11) قلت: فبعد دراسة الحديث تبين لي أنه حديث ضعيف

المصادر والمراجع

إبراهيم، م. المعجم الوسيط، القاهرة: دار الدعوة.

ابن الأثير، م.(1979م) النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت: المكتبة العلمية.

الأخفش، م.(1990م) معاني القرآن، ط1القاهرة: مكتبة الخانجي.

البخاري، م.(1422ه) الجامع الصحيح، ط1 بيروت: دار طوق النجاة.

البيهقي، أ.(2003م) شعب الإيمان، ط1 الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

الترمذي، م.(1998م) السنن، ط1بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الجرجاني،ع.(1983م) كتاب التعريفات، ط1بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوزي، ع.(1985م) غريب الحديث، ط1بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوزي، ع. كشف المشكل من حديث الصحيحين، الرياض: دار الوطن.

الجلاد، م. (2007م) تعلم القيم وتعليمها، ط2 الأردن: دار المسيرة.

الحاكم، م.(1990م) المستدرك على الصحيحين، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حميد، ص. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط4جدة: دار الوسيلة.

الحنفي، أ. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الخوارزمي، ن. المغرب، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن دريد، م.(1987م) جمهرة اللغة، ط1 بيروت: دار العلم للملايين.

الدولابي، م.(2000م) الكنى والأسماء، ط1بيروت: دار ابن حزم.

الزبيدي، م. تاج العروس من جواهر القاموس، مصر: دار الهداية.

ابن سلام، ق.(1994م) الطهور، ط1 جدة: مكتبة الصحابة.

الصقلي، ع. (1983م) كتاب الأفعال، ط1بيروت: عالم الكتب.

الصنعاني، م. (2011م) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير، ط1الرياض، مكتبة دار السلام.

ابن عاشور، م(1984م) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر.

أبو عُبيد، ق.(1964م) غريب الحديث، ط1 حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

العراقي، ع.(2005م) المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار، بيروت: دار ابن حزم.

العسكري،ح. الفروق اللغوية، القاهرة: دار العلم والثقافة.

عمر، أ.(2008م) معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1 بيروت: عالم الكتب.

الغزالي، م. إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.

ابن فارس،أ.(1979م) معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر.

الفراهيدي،خ. كتاب العين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

القضاعي، م.(1986م) مسند الشهاب، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.
ابن القطان، ع.(1997م) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، الرياض: دار طيبة.
قطب، م.(1985م) شبهات حول الإسلام، بيروت: دار الشروق.
ابن ماجة، م. السنن، مصر: دار إحياء الكتب العربية .
الماوردي،ع. النكت والعيون، بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن معين،ي.(1979م) تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، ط1 مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.
المقدسي، م.(2000م) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ط3 بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع.
المناوي،ع.(1988م) التيسير بشرح الجامع الصغير، ط3 الرياض، مكتبة الإمام الشافعي.
المناوي،ع. التوقيف على مهمات التعاريف، ط1القاهرة: عالم الكتب.
المناوي،ع.(1356هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
ابن منظور، م.(1414هـ) لسان العرب، ط3 بيروت: دار صادر.
النسائي، أ،(1986م) المجتبى من السنن، ط2 حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
النسائي،أ.(1991م) سنن النسائي الكبرى، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية.
أبو نعيم، أ. (1974م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر: دار السعادة.
الهروي، م. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، مصر: دار الطلائع.
الهيثمي،ع.(1994) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مصر: مكتبة القدسي.
الواحدي،ع.(1430 هـ) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، ط1 السعودية: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

Values Rationalize Consumption in the Sunnah

Mahmoud Rasheed *

ABSTRACT

The study aims to revive the values of the rationalization of consumption, which is an explicit came in the Sunnah, through the definition of those consumer negative values: positive and negative, and then develop a standard for those values measures the discipline of the consumer by the behavior, and emphasized the need to develop methods and means of the consumer had to commitment to rationalize consumption, and also shows the commitment to those values the pros and cons of violation as to contribute to the reduction of the manifestations of consumption waste and recreational and wasteful, which boosted capital in consumer behavior, and reduce the cons: economic, moral, social and environmental

Keywords: Rationalizing Consumption, Prophetic, Values.

* The Faculty of Shari'a, The University of Jordan. Received on 25/8/2015 and Accepted for Publication on 18/10/2015.